الموضوع:08

الموضوع: مشروع الوضعية المنطقية عند محمد زكي نجيب محمود

الأهداف الإجرائية:

- ان يتعرّف الطالب على أسس مشروع الوضعية المنطقية عند زكي نجيب محمود.

- أن يحدّد الطالب المبررات المعرفية والاجتماعية لمشروع الوضعية المنطقية.

- ان يبيّن الطالب قيمة النزعة التوفيقية التي تبناها زكي نجيب محمود.

الإشكالية: كيف يمكن للوضعية المنطقية أن تحقق النهوض الفكري والعلمي في الفكر العربي و الإسلامي؟

تمهيد:

لقد عرف الفكر الفلسفي الغربي منعطفا حاسما في تاريخ الفكر الفلسفي مطلع القرن التاسع عشر،حيث تراجعت الفلسفات المثالية في مقابل، التيارت التجريبية وهو ما مثّل، موقفا جديدا من الفلسفة عامة، والميتافيزيقا خاصة . وهو موقف بشّرت به الفلسفة الوضعية مع رائدها الفرنسي"أوغست كونت"من خلال مؤلّفه **"الفلسفة الوضعيّة"**، فقد أشار إلى أنّ الفكر البشري مرّ بثلاث مراحل،فقد انطلق من المرحلة اللاّهوتية التي ميّزها التفكير الديني، لينتقل، فيما بعد إلى المرحلة الميتافيزيقية حيث ساد التفكير الفلسفي، وبعدها يصل إلى مرحلة ثالثة التي يسميها بالمرحلة الوضعية التي تميزت بشيوع التفكير العلمي القائم على التجريب ومنحه الثقة الكلية لما حققه من فتوحات علمية ومعرفية ومنهجية مكنت العقل الغربي من إعادة النظر بالنقد والتقويم لتراثه المعرفي والعلمي السابق لهذه المرحلة الثالثة.

ولأنّ التحوّل الفكري ميزة أساسية في التفكير الفلسفي فإنّ الوضعية كذلك قد عرفت تطورا جذريا خلال القرن العشرين، لاسيّما بعد الاهتمام باللغة كمجال بحث ونظر نقدي معرفي، لتصبح مجرد وسيلة لبناء المعرفة والعلم، ممّا يقتضي جعلها قابلة للنقد والتعديل لتصبح قادرة على نقل وترجمة المعرفة، بعيدا عن الغموض او امكانية تعدد الدلالات، لتصبح دقيقة و واضحة مؤسسة على أسس منطقية وعلمية.

هذا التحوّل مثّلته الوضعيّة المنطقيّة، والتي أقرّت بأنّ تأخر الفلسفة مقارنة بالعلم هو نتيجة المشكلات الميتافيزيقية، وأنّ هذه المشكلات التقليديّة زائفة لغموض اللغة الميتافيزيقية وخلوها من معنى دقيق يمكن إمساكه ممّا يقتضي تجاوزها فكانت هذه إحدى أهم الأسس والمبادئ التي قامت عليها.

وقد ظهر للوضعيّة المنطقيّة أصداء مؤيّدة في الوطن العربي حيث يُعدّ المفكر المصري"زكي نجيب محمود وهو أحد أبر الذين تبنّوا طرحها في الفكر العربي المعاصر،فقد تأثّر بها وناصر قضاياها، وأعلن صراحة التزامه بمبادئ الوضعية المنطقية، وهو ما تجلى بشكل واضح،في توجهه الفلسفي الوضعي من خلال مقاربته باستبعاد كل يمت بصلة للميتافيزيقا وذلك من خلال مؤلفه"خرافة الميتافيزيقا"، الذي انتهج من خلاله منهج الفلسفة الوضعية المنطقية، وبسبب ما أحدثه هذا التوجه من مؤاخذات نقدية طالت بما

يحمله هذا المتن من دعوى لتجاوز كل مكون فكري يقوم على رؤية ميتافيزيقة او مؤسس على لغة يغلب عليها الغموض. وللرد على ما اتهم به من خروج عن الدين قام بإصدار طبعه ثانية وسمها بعنوان جديد" الموقف من الميتافيزيقا" ضمّنه مقدمة بيّن من خلالها انتمائه للإسلام، وان استشكاله منهجي معرفي لا يمس بتعاليم الإسلام والتدين. لكن وإن كان الفيلسوف زكي نجيب محمود صارما في موقفه المستبعد للمباحث الغيبية ودعوته الى اعتماد اللغة المنطقية والمنهج العلمي في مسائل الدين، نحى فيما بعد توجها توفيقيا، أراد من خلاله التأكيد على وجود توافق بين التراث وما يحمله من مباحث وأفكار ومناهج و مخرجات العلم والمنهج التجريبي المعاصر.

الإشكالية: كيف يمكن للوضعية المنطقية أن تحقق النهوض الفكري والعلمي في الفكر العربي و الإسلامي؟

- **1- الوضعية المنطقية:** هي تلك الفلسفة التي لا تعترف بغير العلم والمنهج العلمي مصدراً للمعرفة البشرية، فجعلت من التجربة منهجا ضروريا وأساسيا لبلوغ الحقيقة العلمية[1].كما يعبّر هذا المصطلح بنحو واسع على اتجاه فلسفي معاصر يعول أساسا على التجربة تحقيقا للدقة والتحليل المنطقي للغة العلماء ولغة الحديث ويعد هذا المصدر الوحيد للمعرفة[2].

2-الوضعية الجديدة:

لقد عرفت ألمانيا في القرن 19 ، اتجاهاً وضعيا ظاهريا تزعمه العالم الفيزيائي،الفيلسوف **"ارنست ماخ** (1131 1915) ". Ernest Mach ولقد كان لهذا الاتجاه الظاهراتي رد فعل، عنيف ضد الفلسفة المثالية الألمانية(فلسفة المطلق، والشيء في ذاته)التي حمل، لوائها كل، من **فختة، شلينغ** و **هيغ**، من جدة وضد النزعة الميكانيكية (في مجال فلسفة الطبيعة، من جهة اخرى[3]و على أساس هذه النزعةphénoménisme المغرقة في الحسية، قامت الوضعية الجديدة بمختلف اتجاهاتها وفروعها وهي فلسفة منتشرة في أنحاء كثيرة من العالم الغربي مثل، :انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية[4] .

نشأت الوضعية الجديدة في بدايتها بالنمسا بزعامة"موريس شليك" M.Shlik ورودولف كارناب R.Carnap و هانس ريشنباخ H.Reichenbach حيث شكلوا دائرة فلسفية خاصة عرفت"**بحلقة فيينا**"وأسسوا مجلة يشرحون فيها آراءهم ونظرياتهم.وانتقل،الكثير من أقطاب هذه المدرسة تحت ضغط السياسة الهتلرية إلى بريطانيا و الو م أ، حيث أسسوا فروعا لمدرستهم، وفي بريطانيا وجدوا في الفيلسوف برتراند رسل B.Russel ومنطقه خير مساعد ونصير.

---

[1]مراد وهبة :المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2005 ، ص511 .

[2]رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، دار المحجة البيضاء، ط2011،1م،ج 3، 2011 ، ص551.

[3]بن سلمي مسعود، حلقة فيينا، دراسة في الأصول والتطور من الابستيمولوجيا إلى منطق العلم، اطروحة دكتوراه، جامعة باتنة،2022/2021م،ص24.

[4]محمد عابد الجابري، مدخل الى فلسفة العلوم،ص25.

تدعى هذه المدرسة بالوضعية الجديدة أحيانا والتجريبية العلمية أحيانا أخر . كما اشتهر بعض فروعها باسم الوضعية المنطقية [5]فهي تجريبية لأنها تجعل من التجربة مصدرا ضروريا للمعرفة، ومنطقية لأنها لا توافق هيوم Hume والتجريبيين والانجليز في القول، باستحالة بلوغ اليقين في الميدان الفلسفي أو العلمي، لأنّ جميع معارفنا مستمدة من المعطيات التجريبية المتغيرة باستمرار، بل، على العكس من ذلك يمكن الحصول على معارف يقينية في ميدان العلم شريطة التقيد الصارم بالمنطق الذي هو علم

استدلالي صوري بحت مثله مثل، الرياضيات[6] .

3- الوضعية المنطقية:

اسم الوضعية المنطقية Logical positivisme قد أطلقه"بلومبرغ"و"فايغ،"على جملة الأفكار الفلسفية التي اشتهرت بها جماعة فيينا . لكن دراسة أشارت إلى أنّ الفيلسوف النمساوي"هربرت فايا، Herbert Feigll "(1902 1911)هو من أطلق -هذا الاسم على الأفكار الفلسفية التي نادت بدا حلقة فيينا[7] 1931 ، كما تسمى كذلك بالتجريبية المنطقية[8] Logical en pirismeوسبب تسميتها بالوضعية المنطقية يرجع إلى أنّ مجموعة من الفلاسفة حاولوا ربط اللغة بالتجربة ربطا علميا، فعملوا على صياغة الواقع الخارجي صياغة منطقية وتفسيره بأسلوب منطقي.

وعن سبب تسميتها بالوضعية يقول الدكتور زكي نجيب محمود وهو أحد أنصارها في مصر، ولما كان"وضع"الأمور في عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمي أطلق على النظرة العلمية اسم"الوضعية"فإن كان"الوضع"القائم الذي يشغل، الباحث عبارة من عبارات اللغة أو لفظة من ألفاظها كانت"الوضعية"في هذه الحالة"وضعية منطقية"، ومن ثم كان هذا الاسم"الوضعية المنطقية"مميزا لطائفة من أصحاب الفكر، صمموا على ألاّ يواجهوا الواقع بنظرهم، وعلى أنْ يكون هذا الواقع الذي يختصون به هو اللغة التي يصوغ فيها سائر العلماء علومهم على اختلاف موضوعاتها[9].

كما يقول في كتابه"حياة الفكر في العالم الجديد" :"سميت هذه الحركة الفلسفية المعاصرة بهذا الاسم لأن أنصارها وضعيون، بمعنى أنّهم كالعلماء يريدون للإنسان أن يقف بفكره عند الحدود التي يستطيع عندها أنْ يقيم عمله على تجاربه وخبراته وأنْ يثبت صدق أقواله إثباتا إلى الملاحظة الحسية[10]".

4- أسس ومبادئ الوضعية المنطقية:

---

[5]بن سلمي مسعود، حلقة فينا، ص 27.

[6]محمد عابد الجابري، مدخل الى فلسفة العلوم،ص28.

[7]منذر الكوثر، فلسفة التحليل والبحث عن المعنى الوضعية عند آير، دار الحكمة، لندن انجترا،ط2004،1نص25.

[8]زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرةط980،2،ص61.

[9]زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية،ص30.

[10]زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروقط2،مصر 1982م،ص232.

4-1. مهمة الفلسفة :إنّ مهمة الفلسفة عند أنصار الوضعية المنطقية تختلف عما كانت -عليه في السابق"فلقد أنكر أصحاب الفلسفة الوضعية مهمة الفلسفة التقليدية ومجالاتها، و زعموا أنّ كل ما نستطيع معرفته عن العالم وعن الإنسان يمكننا أنْ نستقيه من العلوم الطبيعية...وليس للفلسفة مجال في هذا.[11]

فالفلسفة ما هي إلاّ مجرّد منهج للبحث له هدف واحد يتمثل في التحليل المنطقي للغة المعتمدة في الحياة اليومية، من جهة و للغة العلم من جهة أخرى، قصد تخليصه من اللبس والغموض، وهو ما جعل فيتيجينشتين يعتبر موضوعها يكمن في التحليل وتوضيح الأفكار والقضايا العلمية توضيحاً منطقياً ومنه ينزع عنها كل القضايا الميتافيزيقية التي لا يعترف بوجودها العلمي والمنطقي.[12] فالفلسفة ما هي إلا تحليلا منطقيا للمعاني العلمية ولا مجال فيها للغة المجازية على حد تعبير هانز ريشنباخ، ومنه يكن الاستغناء عن الفلسفة بمدلولها التقليدي، فهي لا تكتشف الحقيقة ولا تمتلكها، إنما هي مجرد طريقة في التحليل تشتغل على اللغة العلمية التي تستمد من معطيات التجربة العلمية.

4-2. منهجها: إنّ التقرير الرسمي لهذه المدرسة يؤكد على أنْ يكون المنهج المتبع الذي يُصْطَنع لتحقيق أهدافها هو منهج التحليل المنطقي، الذي يهدف إلى تحقيق الوضوح في التفكير وإزالة اللبس والغموض عن ألفاظ اللغة وعباراتها[13]."

-4-3. **مبدأ التحقق**:"إنّه حتى نفهم قضية ما ينبغي أنْ نكون قادرين على أنْ نشير بدقة للحالات الفردية التي تجعل القضية وصادقة وكذلك الحالات التي تجعلها كاذبة، وهي الحالات التي تشتغل عليها التجربة العلمية، كونها الفاصل، ومنه تسقط عن مجال العلم كل قضية لا يمكن اختبارها تجريبيا او التحقق من صدقها او كذبها.

رفض الميتافيزيقا: لقد رفضت الوضعية المنطقية الميتافيزيقا والنظر الذي يهتم بها، للعقم الذي يتميز به، لتوسل هذا الخطاب بلغة تفتقد الدقة في الموضوع والمعنى، فهي فارغة على حدّ قولهم.

5- تأثر زكي نجيب محمود بالوضعية المنطقية:

كانت بداية اهتمام زكي نجيب محمود بالوضعية المنطقية بعد أنْ اطلع على محاضرات "**آير**""في مناقشة و تحلي، هذا المذهب،كما اطلع بالدرس والتحليل على عنوانه"اللغة والحقيقة والمنطق"الذي يلخص فيه"آير"اتجاهه الفلسفي،فجعل من هذا التوجه الفلسفي العلمي منهجا له، حاول توظيفه في الوسط الفكري والثقافي والعلمي، لاقتناعه بأنه سيساهم في تحقيق النهوض العلمي والفكري وسيخلّص العقل العربي والإسلامي من التراث القديم ومناهجه غير العلمية.

---

[11]توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، بيروت،ط1،ص56.

[12]انظر لودفيج فتحينشتين، رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مكتبة الانجلو مصرية،1968، ص 4.

[13]توفيق محمد الطويل، أسس الفلسفة، مرجع سابقنص267.

فالعلم أساس التقدم، ومنه يجب اعتماد المنهج الفاعل في العلم »لأنّه يرى انه أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمية[14]، فهي الاتجاه الأقرب إلى العلم والعقل، حيث تمثل روح وحافز العصر، فقد كان يتبنى الوضعية المنطقية لتحقيق النهضة.

لقد بيّن أنّه إذا كانت التجربة العلمية مجرد اتجاه فلسفي في الغرب فهي بالنسبة إلى الأمة العربية ضرورة من شأنها أنْ تضبط اللفظ في مجال التفكير العلمي ضبطا صارما، وأنّنا بأشد الحاجة إليها[15]، فمهمّة الوضعية المنطقية عنده تحليل، المعارف والعبارات لتعرف أين يجوز و القول وأين لا يجوز وأين الصواب وأين الخطأ.

وهذا ما تحتاجه الشعوب العربية نظرا لوضعها المأزوم، فقد سيطر على فكرها الخرافة وسجن باللامفكر فيه، غير القابل للتحقّق. وهو يصرح في كتابه **"المنطق الوضعي"** بأنه اعتمد نهج الوضعية المنطقية لما يقدمه له من آلية منهجية للتحقّق من الموروث الفكري وما يعرض له من أفكار ليتجاوز ويمحو ما يستحق المحو ويثبت ما يستحق التثبيت لصموده لمبدأ التحقق والتحليل المنطقي[16]، وهو يتبنى هذا التوجه الفكري والمنهجي، لم يكن يسعى لمعارضة التوجهات المنهجية والفكرية السائدة، إنما كان يرى في مشروع الوضعية المنطقية مخرجا علميا للخروج من اللاعقلاني، وذلك بالاحتكام للتجربة و التحليل المنطقي للغة المعتمدة في بناء واقعه الثقافي والعلمي. ومنه تجنب الخلافات وسوء الفهم والتأويلات غير المؤسسة علميا بسبب عدم دقة و وضوح اللغة العربية.

فالتجربة بمثابة المحك الموضوعي الذي يمكن من خلاله امتحان مختلف الرؤى العلمية والفكرية والثقافية التي يزخر بها التراث العربي الإسلامي، في مختلف المراحل، حتى المعاصر منها. فصمود أي طرح أمام التحقق التجريبي والمنطقي هو الذي يؤهله ليكون صالحاً لتحقيق النهوض الثقافي والعلمي. أما المشاريع والرؤى التي لا تثبت أمام هذا الامتحان فمصيرها الرفض و الدخول في متحف التاريخ الفكري والفولكلور الثقافي التاريخي. انه يجعل من الوضعية المنطقية محكاً موضوعيا يختبر من خلاله الفكر ، وهو محك موضوعي لا إيديولوجية فيه.

ولقد سعى الى ابراز معالم وفلسفة هذا المشروع من خلال تأليفه ثلاث كتب محورية **"المنطق الوضعي بجزأيه"خرافة الميتافيزيقا" و "نحو فلسفة علمية"**، حيث بين جدوى نظرية التحليل المنطقي للّغة وفكرة التحقق التجريبي المميّز للقانون العلمي، وفي كتاب المنطق الوضعي صرّح في مقدمة الطبعة الأولى من الكتاب ما يوضّح اتجاهه الوضعي وأخذ يدعو له ويدافع عنه.

6- تكيف منهج الوضعية المنطقية:

لقد كان زكي نجيب محمود على وعي بالاختلاف الواضح بين السياق الفكري الذي تشكلّت فيه معالم الوضعية المنطقية والسياق الثقافي والحضاري الذي تكون فيه التراث، وانتظمت

---

[14] زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، مكتبة الانجلو مصريةن القاهيلرة1958.

[15] عبد الإله بلقزيز، الثقافة العربية في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1ن بيروتن2012م،ص 513.

[16] زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة،ط 2،1986، مقدمة ج2.

من خلاله طرق النظر، لكنه بالرغم من ذلك يعترف؛ بميله في كتابه**"برتراند رسل""**إلى الوضعية المنطقية بصريح العبارة حيث يقول" ***:أنا أميل، بفكري نحو الوضعية المنطقية، بحيث يكون عملا لفيلسوف حسبهم هو تحليل، العبارات التي يقولها العلماء بعد تجاربهم "***

.2وفي موقع آخر يقرّ بأهميّة الوضعية المنطقية ويدعو إليها بحيث يقول ***"لقد أراد لي توفيق الله منذ بدأ تحياتي العقلية المنتجة أنْ أقع على طريق من طرق التفكير الفلسفي، رأيته وكأنّما خُلقتُله وخلق لي، ثم رأيته وكأنّه أنْسب ما أقدّمه في عالم الفكر لأمّتي، لأنّه إذا كان الغموض و الخلط بين المعاني أحد الأمراض العقلية التي أصابت أمتي فتلك الطريقة من التفكير أنجع وسائل العلاج***[17].

7- معالم الفكر الوضعي عند زكي نجيب محمود:

استقراء زكي نجيب محمود لوضع الفكر العربي والإسلامي، ومقارنة وضعه بوضع الفكر الغربي جعله يبحث عن الأسباب الحقيقة التي حالة دون استمرار العقل العربي المسلم في البناء الثقافي والعلمي للفكر الإسلامي بصفة خاصة والفكر الإنساني عموماً، فقد أصيب هذا العقل بالجمود والتكلّس واصبح غير قادر على الإبداع والتحرّر من براثن الجهل والتقليد والتبعية، سواء التبعية للماضي، بسبب الاعتقاد انه يحمل الحلول والخلاص من التخلف، ويضمن المحافظة على الهوية والأصالة، او التبعية الى الغرب المعاصر والاعتقاد ان الخروج من وضع التخلف مرهون بالأخذ بثقافة الغرب وما أنتجته من علوم ومناهج، و وضع التراث في متحف التاريخ. هذا من جهة ومن جهة أخرى ابتعاد المفكر العربي المسلم، هن التحليل والفهم المنطقي والعلمي لوضعه، ممّا حال دون توصله إلى إدراك أسباب انتشار التخلف و تحديد الحلول الموضوعية والممكنة للخروج هذا الوضع.

كل هذا جعل زكي نجيب محمود يضع خارطة طريق واضحة العالم، يرى انها قادرة على حلحلة الوضع و معالجته في آن واحد. ولهذا حدّد مهام المفكر العربي، المطلوب منه، كون المفكر هو العقل الذي يجب ان يحلل الوضع و يقدم الحلول، ويقود التغير رفقة المجتمع بكل قواه ومؤسساته. انه يرى ان المفكر العربي مطالب ب:

- التعامل مع الواقع بمنطق الوضعانية، لقدرتها على استيعاب مشكلاته وتجاوزها. فالوضعية المنطقية الية منهجية ومعرفية تمّكن المفكر من التخلص من الوثوقية والتقليد الأعمى، وكذلك تجاوز الخوف من الآخر. فعن طريق الوضعانية سيتمّكن اهل الفكر والثقافة من وضع اليد على أسباب المرض الحضاري، الذي لحق بالأمة العربية، ومنه تقديم وصفة علمية وعملية، قادرة على معالجة الوضع،وذلك بالاستفادة من التجارب الغربية في معالجة وضعهم الحضاري. فالغرب لم يصل الى ما وصل اليه من تقدم وتطور إلا بتبني الوضعانية وتجاوز الميتافيزيقا واللاهوت، والقطيعة مع التراث. و هو ما يجب اعتماده والتأسيس له فكريا وقافيا.

- على المفكر العربي ان يحرص على التأسيس لخطابه الفكري والثقافي والديني على لغة منطقية، واضحة المدلول والمعنى،لا تحتمل التأويل، وبعيدة عن الغموض و الكلمات الرخوة التي لا تقدم معنى واضحا ودقيقا، مما يجعل الخطاب الفكري والثقافي غامضا ويعزف على

---

[17]زكي نجيب محمود، قيم من تراثنا، دار الشروق، د ط القاهرة،2000م،ص188.

الأوتار الحساسة في المجتمع. بل يجب ان يكون خطابه مؤسّساً علة وحدة وتناسق، ينطلق من مقدمات ومبادئ واضحة ويصل الى نتائج معقولة ممكنة التحقّق والتحقيق على ارض الواقع، وذلك في مختلف المجالات.

المجال السياسي، يكون الخطاب السياسي موضوعيا يحدد الأسباب ويقدم الحلول الممكنة، بعيدا عن كل ما هو ديماغوجي و ايديولوجي او ميتافيزيقي، وهذا ينطبق على كل أنواع الخطابات التي تشتغل على فهم الوضع ومعالجته، سواء كان خطابا اجتماعيا او دينيا او اقتصاديا.

- المفكر ملزم بالخروج من الثنائية الوجودي، التي تسجن المجتمع، وتمنعه من التحرّر والتقدم في الفكر والعمل،فقد أصبح يعش وضعا فكريا لا يساعده في المضي قدما، كونه دائما في وضع ثنائي يزيد من حيرته وخوفه من المجازفة و الانطلاق. ومن بين هذه الثنائيات التي تؤثر سلباً: ثنائية الله والمخلوقات، ثنائية الله والإنسان، ثنائية الروح والجسد، ثنائية الأصالة والمعاصرة، أو التراث والعصرنة. للخروج من هذه الثنائية لا يكون الا بالاعتماد لى العلم والتجريب، في فهم هذه المشكلات، وهي في حقيقتها ليست مشكلات حقيقة بل مشكلات وهمية، لكن غموض اللغة المعتمدة في التأسيس لخطاب النهوض هو الذي جعلها كذلك.

- **الغرب نموذج النهوض:** يقول زكي نجيب محمود((لمن أراد ان ينظر الى الأمور نظرة حادة وحازمة- الجواب الواحد والواضح هو ان نندمج في الغرب اندماجاً في تفكيرنا وآدبنا وفنونا وعاداتنا و وجهة نظرنا إلى الدنيا)) بالنسبة لزكي نجيب محمود الغرب يمتلك العلم، والعلم هو الحل، ومنه يلزم ان يكون الغرب هو المخرج لأزماتنا، كون العلم عالمي لا دين له ولا علاقة له التراث والرجوع اليه والى الأفكار التي تقوم على الخرافة والميتافيزيقا..

8-موقف زكي نجيب محمود من التراث:

لكن كيف يجب ان نتعامل مع التراث حسب زكي نجيب محمود؟

بالنسبة اليه التراث الذي يعيق التطور والتقدم لا حاجة لنا به، وهو يتحدث عن التراث بمفهومه الواسع، الفكر الديني، الآداب والفنون والعلوم الثقافة والعادات والتقاليد. وحجته في هذه الدعوة الى تطليق التراث هي:

أ- التراث الإسلامي يتناول مشكلات تجاوزها الزمن، مثل مسألة قدم العالم، مسألة خلق القرآن وغيرها من المسائل الكلامية والفقهية.

ب- التراث يمثل الماضي الذي لا ينبض، والثورة عليه ضرورة حضارية. لا يمكن ان نحيا بفكر الأموات.

ما هو البديل؟

ج-التجديد والتغيير وتجاوز كل أسباب التخلف والجمود ومنها:

- التدخل السافر للسلطة السياسية في الحياة الفكرية، هذا التدخل الذي ساهم في انتشار الاستبداد والرقابة ومنه تكميم الأفواه وغياب الأمن والطمأنينة وانتشار الفكر الزائف الذي يداهن السلطة و يرضيها عن طريق الترويج والتأصيل للوضع.

- خضوع الحاضر لسلطة الماضي، وذلك عن طريق قراءة الحاضر بلغة ومنطق الأموات(نصوص القدماء).

- سيطرة التفكير الخرافي على التفكير العلمي، وهو ما أدى إلى تعطيل الحركة العلمية، بسبب سيطرة الحركة الإيمانية، وهو يقصد الدافع العقدي الإيماني الخرافي، الذي لا يخضع للنقد والتحليل المنطقي.

هذه الأسباب يجب التحرّر منها عن طريق:

-**الانفتاح** على الغرب وأخذ تراثه بأكمله دون بتره مع الاعتماد على المنهج العلمي التجريبي في جميع المجالات.

- **تجديد اللغة العربية،** لا يمكن ان نحقق نهضة فكرية ثقافية وعلمية ثم اجتماعية دون امتلاك لغة ناهضة خصبة ومتطورة تواكب عصر العلم. فالتطور يقوم بإنتاج المصطلح العلمي والثقافي والفكري الدقيق، القادر على توجيه و تأطير الفكر. والافتقار إلى هذا الشرط يجعل من اللغة عائقا بارزا أمام التقدم والنهوض. فالرخوية والغموض الذي يتميز به الخطاب الفكري والثقافي العربي، يرجع الى اشتغالهم على لغة الحجاج والبلاغة، بغية التأثير على مسامع الناس واستنهاض مشاعرهم وعواطفهم الدينية أو توجهاتهم الايديولوجية، بكل توجهاتها، دون الاهتمام بالتأسيس للفكر الناقد والموضوعي، المنطقي الذي يكون مركزه هو بلوغ وتبليغ الحقيقة والمعرفة وإنتاج الفكرة الناجحة والفاعلة، القادرة على تمكين أفراد المجتمع من امتلاك الأدوات السلوكية العملية والعلمية التي تساعدهم على التحرر من براثن الجهل والتبعية للماضي الذي ولّى، او الهروب من الحاضر الذي يمثله الغرب الذي يمتلك الأسباب العلمية والمنهجية والمادية والثقافية لتحقيق التقدم والتطور، بحجة الخوف على الهوية والغزو الثقافي. إننا ملزمون حسب زكي نجيب محمود بضرورة تجديد اللغة العربية و إنتاج المصطلح الدقيق المناسب لكل موضوع، وفق شروط علمية منطقية دلالية لا علاقة لها بالتمسك بلغة الأجداد والآباء. لأن اللغة ما هي الاّ وسيلة للعلم والتواصل وبناء الحضارة وفقط. ولا مجال لربطها بالمعتقد والميتافيزيقا.

8- **علاقة الدين والتراث بتخلف المجتمع العربي والإسلامي: حتّى** وان كان زكي نجيب محمود محق في طرحه الذي يجعل من العلم أساسا ضروريا لبلوغ التقدم والتحضر، ومن اللغة وسيلة لا غاية في تمكين الفكر من إنتاج الخطاب الواضح والدقيق، وأنّ الغرب لم يتمكن من التحرّر من الجهل والتخلف إلاّ بعد أن مارس القطيعة مع تراثه و الميتافيزيقا اللاهوتية التي كانت تحجر الفكر وتمنعه من النهوض. فإن ذلك لا يلزم عنه بالضرورة القول بأن الدين والفكر الديني والتراث هو العائق الأساسي امام تحقيق المجتمع العربي النهوض المنشود، كما ان السياق الذي تحقق فيه النهوض الغربي يختلف تماما السياق العربي الإسلامي. فالتراث العربي الإسلامي هو ثمرة صريحة للحرية الفكرية والعلمية والعقدية التي حققها الإسلام على ارض الواقع، فقد كان الإسلام يشجع العلم والانفتاح على الآخر

والاستفادة من حكمته وعلومه وثقافاته التي يمكن ان تساعد المسلمين على حل مشكلاتهم العلمية والعملية المرتبطة بمستجدات الحياة، كما ان اللغة العربية كانت هي لغة العلم والفكر، بل كانت لغة قادرة على استقبال الوافد العلمي والفكري الأجنبي بمختلف مشاربه الحضارية(الفارسية والهندية واليونانية) وحركة الترجمة العلمية والثقافية التي كانت برعاية الخلفاء دليل تاريخي دال على ذلك. كما ان الحركة الإيمانية للمسلمين كانت محفزا قويا للمسلمين الى بذل الجهد وتوفير الأسباب المادية والمعنوية لبلوغ النهوض وامتلاك العلم وتحقيق النظام والتطور على ارض الواقع، وأما الخرافات التي كانت تسيطر على بعض العقول فهي حالة شاذة تحفظ ولا يقاس عليها، ولا يمكن بأية حال إنكار دور التصوف كتوجه تربوي وسلوكي في إعادة ضبط الحياة وفق ضوابط أخلاقية إيمانية، توازن بين المتطلبات الدنيوية والأخروية، و أما الانحرافات التي شهدها التصوف فذلك أمرا كان منبوذا وقد سعى العلماء الى تصحيحيه، وما قام به ابن القيم والغزالي وابن عربي دليل على ذلك. وفيما يخص السلطة السياسية فدورها عبر التاريخ لم يكن سلبيا في كل الأحوال، ويمكن رد مواقفها من الحركات الفكرية الى تداعيات الظروف والسياق الداخلي والخارجي، ضف الى ذلك خروج معظم الدول العربية والإسلامية من ظلام الاستعمار الذي خرب وقضى على كل معالم النهوض الحقيقية، وان ترك انجازاته المادية المعمارية كرمز للتقدم والتحضر، فيمكن القول إنها انجازات معمارية لا تتماشى والثقافة والإسلامية، التي كانت تتجلى في العمارة الإسلامية.

كما أن القطيعة التي تحدث عنها زكي نجيب محمود بين العلم واللاهوت المسيحي، فهي في حقيقة الأمر قطيعة جزئية وليست نهائية، فالغرب لم يطلّق الميتافيزيقا بل إعادة ترتيب بيته الداخلي، وقسم المهمات على رجال العلم والدين والفكر والثقافة، ليقوم كل بدوره في تحقيق النهوض. فلم يتجاوز ديكارت ول كانط ولا هيجل الميتافيزيقا المسيحية، بل كان الحجر الأساس لفكرهم الذي يعد مركز الوضعية المنطقية والتقدم العلمي الغربي.

9- مراجعات زكي نجيب محمود:

هل موقف زكي نجيب محمود من التراث وإشكالية الأصالة والمعاصرة كان موقفا نهائيا وراديكالياً؟

لقد قام زكي نجيب محمود بمراجعة مواقفه الجذرية من علاقة التراث بالنهوض الحضاري، وذلك في المرحلة الثالثة من تطور فكره ومشروعه، فتبنى نزعة توفيقية مرنة، من خلالها أكدّ:

9-1. **الرّجوع إلى التراث**: أهمية الرجوع الى التراث كمكون أساسي ومركزي للهوية، لا يمكن إلغاؤه او تجاوزه تحت اي ظرف او دعوى، على أساس هذا التوجه أكد ضرورة الرجوع الى التراث وإعادة قراءته من جديد، وذلك لثرائه و دوره التاريخي الإنساني، وتعريضه للتحليل العلمي والمنطقي لتميز المعقول فيه من اللامعقول، وهو يرى ان هذا الجزء من التراث له مبرراته وظروفه وسياقه، ولهذا يجب تفّهمه وفهمه وعدم محاكمة أصحابه. لأن ذلك لا ولن يعود بأية فائدة على العصر الحالي، فالكلام والتصوف الإسلاميين، بمثابة حلقتين ومرحلتين فكريتين لا يمكن اختزالهما من التاريخ و في تأسيس

الوعي الفكري والأخلاقي في الحضارة العربية الإسلامية. أما الجانب المعقول فيه فيجب العمل على فهمه وتطويره، مع الانفتاح على العلم الجديد.

لقد اقرّ زكي نجيب محمود بأهمية التراث كمرجعية وخلفية فكرية وثقافية، وعقدية حيث يرى انه بعد التعرّض للإستعمار- اتخذنا موقف الثورة للتحرّر نحو الاستقلال، كان واجبا إعادة تنظيم البيت لأجل:

- 2-9. **الهوية الشخصانية:م**حاولة تشكيل الهوية الشخصانية، على مستوى الذات وعلى مستوى السلوك الجماعي لبقية الأفراد، وذلك يكون، بإحياء التراث بطريقة تجعله وسيلة للخروج من الوضع والتأسيس لحياة جديدة يكون فيها الحاضر والمستقبل البعيد والقريب، كي تتحول ثقافتنا إلى ثقافة تدفع صاحبها إلى مسالك الحياة اليومية والعلمية، فما من خطوة يخطوها الإنسان في حياته إلاّ وراءها خلفية فكرية، استمدها من التقاليد والعادات والأعراف. ولكن ليس هناك مجال في لحظة ان نتخلى عنها تخلياً كلياً ومطلقاً نتيجة الانبهار بحضارة الغرب والعكس أن لا نبقى منغلقين على ذواتنا ((نحن أحوج ما نكون اليوم، إلى سند من التراث يسندنا في الدعوة إلى حرية الفرد في فكره وسلوكه: سند للتحرّر، سند لمشاركة الغير والمسؤولية)) وهو بهذا يؤكد ضرورة الانفتاح على الغير للاستزادة بعلومه و ومناهجه الفكرية و إنتاجه الحضاري، لكن مع الرّجوع الى الأصل والموازنة بين الدنيا وحياتها الحياة الآخرة، وهو هنا يقصد الحركة الإيمانية التي تربط المسلم بالحياة الآخرة التي يكون فيها الجزاء من طبيعة العمل، هذه الحركة التي من شانها ان تضفي على الفكر والسلوك صبغة أخلاقية وقيمية انسانية راقية. كما يؤكد ضرورة اعتماد النظرة الشمولية للتيارات الفكرية حفاظا على وحدة العصر. فنقبل بالدرس والتحليل على التراث والتعامل معه بموضوعية محكومة بداعي الملحة، بعيدين عن الوثوقية والتعصب والإقصاء.